الآيات والروايات الدالة على البداء

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

ما هو رأي الشيعة في البداء ؟ وما هي الإشكالات المطروحة ؟ وما هو رد الشيعة ؟ .

الجواب:

البَدَاء لغة : الظهور بعد الخفاء .

والبَدَاء اصطلاحاً : ظهور شيء بعدما كان خافياً على الناس .

والشيعة الإمامية تعتقد بالبداء وأنه من المسلَّمات ، وقد حثَّت روايات أهل البيت (عليهم السلام) على الإعتقاد به ، وهي روايات كثيرة منها :

١ – قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (مَا عُظِّم الله بمثل البداء) [الكليني / الكافي – باب البداء] .

٢ – قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (لو علم الناس ما في البداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه) [المصدر السابق] .

قال الإمام الباقر أو الإمام الصادق (عليهما السلام) : (ما عُبِد الله بشيء مثل البداء) [المصدر السابق] .

هذا إجمالاً ، وأمَّا تفصيلاً ، فقد تعرَّض المخالفون إلى مسألة البداء من دون مراجعة إلى كتب الشيعة ، فاتهموا الشيعة بأنهم يقولون بالبداء على الله تعالى ، وعليه يلزم من هذا القول الجهل على الله تعالى .

والواقع أن منكري البداء اختلقوا من عند أنفسهم للبداء معنى ، وجعلوا يردِّدُون به على الشيعة ، غافلين عن أنَّ أتبَاع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) براء من ذلك المعنى براءة يوسف (عليه السلام) من الذنب الذي أُلصق به .

ولتوضيح الحقيقة نقول : قلنا في بداية الجواب أن معنى البداء في اللغة هو الظهور بعد الخفاء ، والدليل عليه بعض الآيات المباركة من قبيل :

الآية الأولى :

قوله تعالى : (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) الزمر : ٤٨ .

أي ظهر لهم ما كان خافياً عليهم سيئات ما كسبوا .

والآية الثانية :

قوله تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ) يوسف : ٣٥ .

وهذا المعنى من البداء يحصل كثيراً ما للانسان فقط .

ولا يحصل في حق الله عزَّ وجل ، لأنه يلزم الجهل عليه ، وقد اتفقت الشيعة الإماميَّة على أنَّه سبحانه وتعالى لا يجهل شيئاً ، بل هو عالم بالحوادث كلها ، غابرها وحاضرها ومستقبلها .

ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فلا يُتَصَوَّر فيه الظهور بعد الخفاء ، ولا العلم بعد الجهل ، بل الأشياء دقيقها وجليلها حاضرة لديه .

ويدل على ذلك الكتاب الكريم ، كقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) آل عمران : ٥ .

ومن السنة المروية عن طريق ائمة أهل البيت (عليهم السلام) ، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (كُلّ سِرٍّ عندك علانية ، وكل غيب عندك شهادة) [نهج البلاغة / الخطبة ١٠٥] .

مُضافاً إلى البراهين العقلية المقرَّرة في محلِّها .

وأما البداء في الاصطلاح فيمكن نِسبتُه إلى الله تعالى ، ولا يلزم منه الجهل ، فعندما يُقال : بدا لله تعالى ، بمعنى أظهر ما كان خافياً على الناس ، لا خافياً عليه .

لأن الآيات والأحاديث دلَّت على أن مصير العباد يتغيَّر بحسب أفعالهم وصلاح أعمالهم ، من الصدقة ، والإحسان ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والاستغفار ، والتوبة ، وشكر النعمة وأداء حقِّها .

إلى غير ذلك من الأمور التي تغيِّر المصير ، وتبدِّل القضاء ، وتفرِّج الهموم والغموم ، وتزيد في الأرزاق ، والأمطار ،

والأعمار ، والآجال .

كما أن لِمُحرَّم الأعمال وسيئها ، تأثيراً في تغيير مصيرهم بعكس ذلك .

ويدل على هذا التغيير من الآيات قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِم) الرعد : ١١ .

والآيات التالية : الأعراف : ٩٦ ، إبراهيم : ٧ ، نوح : ١٠ – ١٢ ، الصافَّات : ١٤٣ – ١٤٦ ، يونس : ٩٨ ، الأنبياء : ٧٦ و ٨٣ و ٨٨ ، الطلاق ٢ – ٣ ، الأنفال ٣٣ و ٥٣ .

ومن الأحاديث الشريفة :

أولاً : قول الإمام الكاظم (عليه السلام) :

(عليكم بالدعاء ، فإنَّ الدعاء لله والطلب إلى الله يَردُّ البلاء ، وقد قَدَّر وقضى ولم يبق إلاَّ امضاؤه ، فإذا دُعِي الله وسئل ، صرف البلاء صرفه) .

[الكافي ٢ / ٤٧٠ / ح ٨ باب ان الدعاء يرد القضاء] .

ثانياً : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة :

(أعوذ بالله من الذنوب التي تعجِّل الفناء) .

فقام اليه عبد الله بن الكواء اليشكري ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أو تكون ذنوب تعجِّل الفناء ؟

فقال (عليه السلام) : (نعم ويلك قطيعة الرحم) .

وقال (عليه السلام) أيضاً : (إذا قطعوا الأرحام جُعِلت الأموال في أيدي الأشرار) . [الكافي ٢ / باب قطيعة الرحم ح ٧ و ٨] .

ثالثاً : قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

(إنَّ الدعاء يردُّ القضاء ، وإن المؤمن ليذنب فَيُحرَم بذنبه الرزق) .

رابعاً : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

(الاستغفار يزيد في الرزق) . [الخصال / باب الاستغفار ح ٤ – ١٧] .

إذاً تَغَيّر مصير العباد له أثر في مسألة البداء ، ولتوضيح ذلك نقول :

المُقَدَّرات الإلهية على قسمين :

القسم الأول : مُقدَّر محتوم لا يتغيَّر ، وهو موجود في اللوح المحفوظ ، وعبَّرت الآية المباركة عنه بأمّ الكتاب ، كما في قوله تعالى : (يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الرعد : ٣٩ .

وهذا القسم لا بداء فيه ، ولا تغيَّر .

القسم الثاني : مُقدَّر مُعلَّق ، قابل للتغيير ، غير محتوم ، وهو موجود في لوح المَحْو والإثبات .

وأشارت الآية السابقة إليه : (يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) الرعد : ٣٩ .

فراجع التفاسير التالية من الفريقين في تفسير هذه الآية المباركة ، الدالة على وجود هذا القسم من المقدَّرات التي يتصوَّر فيه البداء .

١ – تفسير الرازي ١٠ / ٦٤ .

٢ – تفسير ابن كثير ٢ / ٥٢٠ .

٣ – تفسير المراغي ٥ / ١٥٥ .

٤ – روح المعاني ١٣ / ١١١ .

٥ – الدر المنثور ٤ / ٦٦٠ .

٦ – فتح البيان ٥ / ١٧١ .

٧ – الكشاف ٢ / ١٦٩ .

٨ – الجامع لأحكام القران ٥ / ٣٢٩ .

٩ – تفسير جامع البيان ٣ / ١١٢ .

١٠ – مجمع البيان ٦ / ٣٩٨ .

إذاً المراد من البداء ، هو تغيير المقدّر بالأعمال الصالحة أو الطالحة ، ولا يخفى هنا أن الله سبحانه يعلم كلا التقديرين .

والخلاصة :

البداء إذا نُسِب إلى الله سبحانه فهو بَداء منه ، وإذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم .

فالبداء من الله هو إظهار ما خَفي على الناس ، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفي لهم ، وهذا هو الحق القُرَاح الذي لا يرتاب فيه أحد .